

إضاءات على تاريخ المعتزلة

علي موسى طالب / دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام / جامعة حمص / قسم التاريخ

ملخص

نشأ الاعتزال كمذهب فكري في أواخر العصر الأموي، واستمر طيلة العصر العباسي، ومرد ذلك لأسباب عديدة فسرها الباحثون حسب المنظور الذي رأوا به مذهب الاعتزال، فمنهم من قال أنهم نشأوا من رحم الخلافات التي أبرزت مذاهب فكرية متعددة، إذ تأثرت ببعض الفلسفات المستوردة، وخرجت عن أهل السنة والجماعة، والبعض الآخر رأى أنهم نشأوا من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية والحفاظ عليها، وهذا الجدل في أمرهم أدى إلى انتشار أفكارهم إذ راجت ولاقت قبول لدى بعض المفكرين، لاسيما أن بعض الخلفاء تبنوا أفكارهم ونادوا بها. كما اختلفت النظريات في كيفية ظهور هذا المذهب أيضاً، وأطلقت عليه وعلى أتباعه مسميات عدة انطلاقاً من المبادئ التي نادوا بها، إذ اعتمدوا على مبادئ وأصول خمسة لا يعد الإنسان اعتزالياً إلا إذا نادى بها، واعتقد بها. ولما لاقت الأفكار قبولاً ورواجاً ظهر عدد من الفرق التابعة للمعتزلة بزعامة رجالات كان لهم أثر كبير في مسيرة المعتزلة، وامتد أثرهم على الفكر العربي الإسلامي من خلال ما تركوه من نتاج أدبي وثقافي لا يمكن إغفاله أو تجاهله. ولكن مع استمرار خلافهم لعقيدة أهل السنة وخروجهم عنها في مواضع كثيرة تصدى الفقهاء لهم، مما أدى إلى اضمحلال آرائهم وتراجع أثرهم، وهذا ما سيتم بحثه.

الكلمات المفتاحية: المعتزلة، مذهب الاعتزال، نشأة الاعتزال، مبادئ الاعتزال، فرق المعتزلة، افكار المعتزلة، اضمحلال المعتزلة.

Abstract

Retirement arose as an intellectual doctrine at the end of the Umayyad era and continued throughout the Abbasid era. The Sunnah and the Community, and others saw that they were raised in order to defend and preserve the Islamic faith, and this controversy in their matter led to the spread of their ideas, as they were popular and accepted by some thinkers, especially since some of the caliphs adopted their ideas and advocated them.

heories also differed in how this sect emerged, and they called it and its followers several names based on the principles that they proclaimed.

And when the ideas met with acceptance and popularity, a number of Mu'tazila sects appeared, led by men who had a great impact on the Mu'tazila's march, and their influence extended to Arab-Islamic thought through the literary and cultural products they left behind that cannot be overlooked or ignored.

But with their continued disagreement with the belief of the Sunnis and their departure from it in many places, the jurists confronted them, which led to the decline of their opinions and the decline of their impact, and this is what will be discussed.

Keywords: Mu'tazila, Mu'tazila doctrine, the emergence of Mu'tazila, Mu'tazila principles, Mu'tazila sects, Mu'tazila ideas, Mu'tazila's decline.

مقدمة.

من الواضح أن الاختلافات العقائدية والفكرية التي ظهرت بين العرب المسلمين وتعمقت بشكل واضح لم تكن وليدة العصر الذي أخذت فيه طابع المذاهب والفرق، وإذا كان المراد الدقة فالأصح القول بأن هذه الاختلافات بدأت منذ وفاة النبي ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، ففي زمان حياة النبي ووجوده بين المسلمين كانت مبادرته إلى حل الخلافات التي تنشب بين المسلمين وانشغال الناس بالدعوة إلى الإسلام يحول دون اندلاع الخلافات؛ لكن بعد وفاة النبي ﷺ ظهرت الخلافات الفكرية، وتطورت ثم تحولت إلى مذاهب خاصة لها مبادئها وتعاليمها، وأساليبها، وآرائها الخاصة التي تبنها جماعة من المتكلمين، وكان من بينها مذهب الاعتزال الذي عُد من أكبر المذاهب الفكرية والفلسفية العربية الإسلامية.

1- إشكالية البحث.

تكمن إشكالية البحث في محاولة تتبع ظروف نشأة هذا المذهب، لاسيما أن هناك نفر من الباحثين والكتاب في علم الكلام لهم وجهات نظر متباينة حول هذه الفرقة الإسلامية، ولديهم نوع من الغموض وعدم الوضوح فيما يتعلق بإطلاق الحكم عليها، إذ رأهم البعض أنهم من رواد الفكر الحر، والبعض الآخر رأهم من أعداء السنة والإسلام، وبناء على ذلك تم اختيار موضوع الاعتزال كمذهب فكري لمعرفة مبادئه وأفكاره التي أدلى بها في مسرح الحياة العربية الإسلامية، والتي كان لها أثرها في جميع نواحي الحياة الفكرية والأدبية والفلسفية في العصر العربي الإسلامي، ولإلقاء الضوء على بعض المبادئ التي نادى بها مذهب الاعتزال والتي كان لها وقع كبير في العالم العربي الإسلامي.

وثمة إشكالية أخرى يحاول البحث حلها، يمكن صياغتها بالسؤال التالي، ماهي المبادئ والأسس التي بني عليها مذهب الاعتزال، وماهي أهم فرقهم؟ وهل فعلاً استطاع هذا المذهب الاستمرار رغم المعارضة فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى؟

2- أهمية البحث.

كان من الدوافع لاختيار هذا الموضوع هو الشهرة التي سطعت لهذه الفرقة في ميادين علم الكلام في بلاد المشرق العربي الإسلامي، وانتقالها إلى بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال مرحلة العصور الإسلامية اللاحقة.

كما أن مخالفتها لرأي الفقهاء السنة في كثير من الأمور، شكل دافعاً أساسياً للاطلاع على المبادئ التي نادوا بها، إذ كان الفقهاء غالباً ما يرددون عبارة "خلفاً للمعتزلة" وعليه تبرز أهمية البحث وسبب اختياره.

3- أهداف البحث.

يتشكل الهدف الأساسي للبحث في محاولة التعريف بمذهب الاعتزال، وبيان وتوضيح دور مذهب الاعتزال في مسرح الحياة الفكرية العربية الإسلامية خلال العصر الإسلامي، إذ لا يخفى على الباحثين في مبادئ العقيدة أهمية معرفة الفرق الكلامية وأثرها، لمعرفة مواطن القوة والضعف في كل مذهب كلامي.

4- صعوبات البحث:

- لكل عمل علمي مهما كان نوعه، وطريقة بحثه صعوبات متعددة منها:
- كثافة الأفكار التي يستقيها البحث.
 - الحصول على المصادر والمراجع المتخصصة المتعلقة بهذا المجال إذ جاءت أغلب الدراسات في سياق عام.
 - غلبة الطابع الجدلي على هكذا أنواع من الأبحاث، ومحاولة كل طرف الانتصار للفرقة التي يؤيدها مدعماً ذلك بشواهد وأقوال، مما يفرض على الباحثين الدقة والحذر في دراسة أنواع الفرق والمذاهب الإسلامية.

5- منهج البحث وإجراءاته.

قام البحث على دراسة عدة أمور والتطرق لها في محاولة لإلقاء الضوء على عدة نواحي من خلال ما جاء في المصادر والمراجع، معتمداً على مناهج بحثية متعددة، وهي: المنهج التاريخي الوصفي كونه المناسب لوصف نشأة هذا المذهب، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي للمعلومات الواردة في بطون المصادر والمراجع العربية الإسلامية التي تناولت هذه الفرقة بالبحث والدراسة من أجل استخلاص المعلومات التي تخدم فصول البحث.

وكان أهم المصادر التي شكلت العون الأساسي في إنجاز هذا البحث كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني وكتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي، وكتاب "الأصول الخمسة" المنسوب إلى القاضي عبد الجبار.

أولاً- تعريف علم الكلام:

1- تعريف علم الكلام في اللغة:

في اللغة علم الكلام: هو مصطلح مركب من كلمتين وبالتالي يمكن تقسيمه الى:
علم: وهو نقيض الجهل؛ عِلْمٌ علماً وَعَلِمَ: أي هو نفسه ذي علم؛ ورجل عالم وعليم: أي من قوم علماء؛ وعِلْمٌ وعِلَامَةٌ: إذا بالغت في وصفه بالعلم؛ أي عالم جداً؛ وَعِلِمْتُ الشيء: أي عرفتُه؛ وقال ابن بري: "وتقول عِلْمٌ وَفَقَهُ: أي تعلم وتفقه؛ وَعَلِمَ وَفَقَهُ: أي ساد الفقهاء والعلماء". أما: الكلام: فهو القول؛ وقيل الكلام: ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة؛ والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة⁽¹⁾.

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م): لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، مادة: عِلْمٌ، ص 3083.

والمعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجي ولا تحزن ولا تملك قلب السامع؛ وإنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه. أما الجوهرى فقال: "الكلام اسم جنس، يقع على القليل والكثير، والكلام لا يكون أكثر من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة".
والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على اللفظة المؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بأكملها وخطبة بأسرها يقال: قال الشاعر في كلمته: أي قصيدته⁽¹⁾.

2- تعريف علم الكلام في الاصطلاح:

بالرغم من أن ظاهرة الكلام قديمة في التاريخ العربي الإسلامي؛ فإن تعريفها لم يحصل إلا في وقت متأخر، إذ لا يعرف من حدّد علم الكلام قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) والطريف أن أول تعريف للكلام لم يضعه متكلم بل وضعه فيلسوف هو أبو نصر الفارابي⁽²⁾ بقوله: "وصناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصر الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف ما خالفها بالأقاويل"⁽³⁾. ولا بد من ذكر رأي الغزالي⁽⁴⁾ الذي بين غاية علم الكلام في كتابه "المنقذ من الضلال" إذ قال: "ثم إنني ابتدأت بعلم الكلام؛ فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم؛

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة: كَلَمَ، ص 3922.

(2) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ (260-339هجرى/874-950م) أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، مستعرب، عرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو، توفي بدمشق. القفطي، علي بن يوسف (646هـ/1248م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص 210.

(3) أبو هلال، محمد: إسلام المتكلمين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص13.

(4) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمئة، وتوفي يوم الاثنين، وله نحو مائتي مصنف. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1977م، ج:4، ص: 216-218.

وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، وصادفته علماً وافياً بمقصوده غير وافٍ بمقصودي، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة (1).

يلاحظ أن الغزالي قصر علم الكلام على أنه ظاهرة سيئة، مع أن الكلام يضم مدارس وجهود عديدة هدفها ليس حفظ العقيدة السنية فقط، في حين وجد أن الدافع لعلم الكلام هو رد الشبهات والدفاع عن العقائد.

أما الإيجي⁽²⁾: كان له رأي في تعريف علم الكلام إذ قال: "الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهات والمراد بالعقائد: ما يقصد به الاعتقاد القائم دون العمل، والدينية: تعني دين محمد ﷺ وعليه فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام⁽³⁾، ومن خلال تلك التعريفات يمكن استخلاص مايلي:

1. أن بعضها ناظر الى العلم.
2. بعضها يشير الى الغاية منه، كالدفاع أو المعرفة.
3. بعضها ناظر الى المنهج من العقل والنقل.

والحق أن الغرض الأساسي من علم الكلام في القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة هو فهم العقيدة الإسلامية وتحصيلها وتحديد المعاني الغامضة التي وردت في الكتاب والسنة مثل الله وصفاته: العدل، القدر، الوعد والوعيد، والثواب. وهو علم تحصيلي وليس علم آني يقصد منه

(1) الغزالي، محمد بن أحمد: المنقذ من الضلال، تح: عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، عام 1964م، ص19.

(2) الإيجي: عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي، ولد بإيج من نواحي شيراز، بعد السبع مائة وأخذ عن مشايخ عصره ولازم زين الدين تلميذ البيضاوي، مات مسجوناً سنة 1307/706م للهجرة. الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1250هـ، ج1، ص326.

(3) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: المواقف في علم الكلام، دار علم الكتاب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص7.

المنافحة ومواجهة الخصوم، ولم يعد يقتصر على المسائل الدينية بل تعداها الى التفكير العام في الوجود والطبيعة والعالم⁽¹⁾.

3- فائدة علم الكلام:

أدلى الغزالي بما يراه القول الفصل في فائدة هذا العلم فقال: "إن فيه منفعة ومضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع به ومحلّه حلال، وهو باعتبار مضرته في وقت الضرر به ومحلّه حرام إذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته، فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه، وذلك وقت الحاجة إليه على قدر الحاجة". ثم قال: "وإن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا من الخوض فيه والتجرد له، لما فيه من الضرر"⁽²⁾. ويمكن القول أن فائدة علم الكلام تكمن في أمور عدة أهمها:

1. الترفع عن التقليد والوصول الى ذروة الإيمان بدليل قول الله تعالى: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات"⁽³⁾.
2. إرشاد المسترشدين، بمعنى الذين يدعون صحة آرائهم بإيضاح الحجة، وإلزام المعاندين، الذين يرفضون الاعتقاد بأفكارهم بإقامة الحجة .
3. حفظ قواعد الدين من أن تزلزلها شبه المبطلين، التي كانت بدع دخيلة من أجل تشويه مقصود.
4. تبنى عليه علوم الشريعة، فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها.
5. صحة النية والاعتقاد، إذ بها يرجى قبول العمل وغاية كل ذلك الفوز بسعادة الدارين⁽⁴⁾.

(1) الإيجي: المواقف في علم الكلام، ج1، ص10.

(2) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص22. البوطي، محمد سعيد رمضان: مذاهب توحيدية وفلسفات معاصرة، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2010م، ص43.

(3) القرآن الكريم، سورة المجادلة: الآية 11.

(4) النجار، عامر: علم الكلام عرض ونقد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1430هـ/2009م، ص14.

كما تحدث العلامة ابن خلدون عن فوائد علم الكلام فقال: "فائدة علم الكلام في أحاد الناس معتبرة إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجاج الفطرية على عقائدها"⁽¹⁾، ويشترك هذا المعنى الكثير من العلماء المتكلمين إذ تكمن فائدته في الحفاظ على العقيدة والدفاع عنها، والحفاظ عليها من التشويه، وإصباغها بالصبغات الفلسفية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت بين العقائد غير الإسلامية المتعددة، إذاً يلاحظ أن جميع آراء العلماء تمحورت في أن فائدة علم الكلام هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ولا يمكن إنكار الفضل الذي قدمه في سبيل الحفاظ على العقيدة من الانحلال والضياع، ومواجهة الفرق المخالفة للشريعة الإسلامية وإبطال حججها وهذا يتطلب المعرفة والتعمق في الدين.

ثانياً- تعريف المعتزلة:

1- تعريف المعتزلة لغةً:

قال ابن منظور⁽²⁾: "عزل الشيء يعزله عزلاً؛ وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل: أي نجاه جانباً فانتحى، وقوله تعالى: "إنهم عن السمع لمعزولون"⁽³⁾. معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع، أي بمعنى عزل الشياطين عن سماع ما يجري في السماوات ومنعهم من ذلك، ورجمهم بالأجرام السماوية من كل جانب. واعتزل الشيء وتعزله: تنحى عنه، وقوله تعالى: "إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون"⁽⁴⁾، معناه: إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا معي ولا علي، ويرجح أن المراد هو أن يعتزلوه أي يبتعدوا عنه ولا يقربوه.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م): المقدمة- من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (د.ت)، ص131.

(2) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر وخدم في ديوان الإنشاء في القاهرة، ثم ولي القضاء بطرابلس، وتوفي في مصر 711هـ/1312م. الزركلي، خيرالدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، لبنان، 2002م، ج 5، ص 220.

(3) القرآن الكريم، سورة الشعراء: الآية 212.

(4) القرآن الكريم، سورة الدخان: الآية 21.

واعتزل الشيء: بَعُد عنه. وكنت بمعزل عن الشيء: أي كنت بموضع عزلة عنه، واعتزلت القوم: أي فارقتهم⁽¹⁾، والمراد من المفارقة هو الابتعاد والاعتزال عن جماعة القوم وعدم الانتماء لهم.

وبذلك يكون معنى المعتزلة في اللغة: التنحي والابتعاد والمفارقة، لكن وجد اختلاف فيما تحت عنه المعتزلة، إذ تعددت الآراء وتشابكت هل هو تنحي سياسي؟ أم هو تنحي مجلس الحسن البصري⁽²⁾؟ ويرجح أن السبب الأساسي في تسمية المعتزلة هو الاعتزال وإن وجد الاختلاف بطبيعة هذا الاعتزال.

2- تعريف المعتزلة في الاصطلاح:

اختلفت وتعددت تعريفات الباحثين لفرقة المعتزلة بدرجة كبيرة، مرد ذلك الى اختلاف مقاصدهم وغاياتهم من هذه التعريفات، فمنهم من عرفهم بالنسبة لمؤسس الفرقة، وآخر من خلال نشاطهم في تقرير مسائل علم الكلام⁽³⁾، وإرساء قواعده، وآخر من خلال منهجهم العقلي المقدم على الوحي،

(1) أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهرى الهروي (ت488هـ/1095م): تهذيب اللغة، تح: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية، مصر الجديدة، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص134.

(2) الحسن البصري: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي وإمام أهل البصرة، وحبر الأمة في ذلك الوقت، ولد بالمدينة وسكن بالبصرة، وله كتاب: فضائل مكة، توفي بالبصرة سنة 110هـ/729م. الزركلي: الأعلام، ج2، ص226.

(3) علم الكلام: العلم الباحث عن الأغراض الذاتية للوجود، من حيث قاعدة الإسلام. الجهني، مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420 هـ، ج1، ص64.

وأخر من خلال أسماءهم وألقابهم وما أجمعوا عليه من العقائد⁽¹⁾ - الأصول الخمسة - وآخر بالنسبة لنشاطهم السياسي الذي ظهر للرد على عقيدة الجبر⁽²⁾ والإرجاء⁽³⁾ والتشبيه⁽⁴⁾.

ومهما يكن من أمر هذه التعريفات فإنها محاولة لوضع تعريف دقيق لماهية هذه الفرقة وماهي الأسباب التي أدت الى وجودها وما هو السر الكامن وراء انتشار أفكارها وتطورها خلال عقود من الزمن والتأثيرات التي أثرت بها في مسيرة الحركة الفكرية على صعيد الدين والأدب وكان لها عظيم الأثر في إضفاء طابعها الخاص على الكثير من الأمور الحياتية سواء الأدب والفن والدين.

قال في ذلك سعيد مراد: "لقد اختلفت الآراء، وتعددت الاتجاهات حول مفهوم الاعتزال، هل هو اعتزال سياسي؟ أم اعتزال مباحج الدنيا وزينتها؟ أم اعتزال الفئة الضالة وأهل الفتنة؟ أم أنه موقف فكري له أصوله وقواعده؟ هذا بالإضافة إلى أن مفهوم الاعتزال تأثر بدرجة كبير بموقف الأنصار والخصوم، مما حدى بكل منهم أن يطلق على أصحاب الاعتزال من الألقاب والتسميات ما يتناسب مع الموقف الفكري لكل منهم⁽⁵⁾، وإلينا شيئاً من هذه التعريفات، التي من خلالها يمكن إلقاء الضوء على أهم ما عرف به المعتزلة عبر تاريخهم الطويل:

(1) الجهني: الموسوعة الميسرة، ج1، ص64.

(2) الجبر: هو نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، فجعلوا أفعال العباد طبيعية اضطرارية كفعل النار للإحراق بطبعها، ومنهم من عد الأشاعرة من الجبرية. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975م، ج1، ص97.

(3) المرجئة: هم الذين أرجأوا العمل عن الإيمان، وزعموا أن الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وقالوا لا يضر مع الإيمان كذب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص161.

(4) عمارة، محمد: تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ، ص44.

(5) مراد، سعيد: الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1427هـ، ص93.

- أصحاب واصل بن عطاء الغزالي⁽¹⁾، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري⁽²⁾.
 - هم الواضعون لدعائم علم الكلام الإسلامي، فبهم تأسس، وبجهودهم تطورت موضوعاته بما أضافوا إليه من مباحث جديدة أثرت موضوعاته، وكان لهم دور رئيس في تطويره، وصياغة مشكلاته⁽³⁾.
 - من أهم الفرق الكلامية، بل تعد أيضاً مؤسس علم الكلام الحقيقي، بمعنى أن لها نسقاً مذهبياً متكاملًا في علم الكلام، وهم أصحاب النظر العقلي، وكانوا من أوائل الذين وسعوا دائرة المعارف الدينية، بحيث تشمل العقل، ولم يكتف المعتزلة بإدخال عنصر العقل في المعرفة الدينية، بل قدموه على النص، وقالوا بالفكر قبل السمع فأولوا المتشابه من الآيات القرآنية، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل وقدموا العقل لأنه أصل النص⁽⁴⁾.
- ويمكن تعريفها بأنها: فرقة إسلامية ظهرت في القرن الثاني للهجرة، في البصرة على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد⁽⁵⁾، متأثرة بالمذاهب والفرق التي سبقتها، واتخذوا من العقل مصدراً أولاً لمسائل العدل والتوحيد، وتبحرت في علم الكلام وأرست قواعده. وبعد كل هذه التعريفات التي

(1) واصل بن عطاء: كنيته أبو حذيفة، من موالي بني ضبة وبنو مخزوم، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء المتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم حلقة درس الحسن البصري، وهو رئيس المعتزلة وشيخها، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ الرءاء، وله خطبة منزوعة الرءاء، توفي في 131هـ. الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 108.

(2) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تح: نصر الدين التونسي، شركة القدس، القاهرة، ط 1، 2007م، ص 347.

(3) السيد، محمد صالح محمد: مدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، مصر، (د.ت)، 2001م، ص 219.

(4) المغربي، علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 1، 1986م، ص 203.

(5) عمرو بن عبيد: شيخ المعتزلة في عصره، حي القلب، يعظ فيجيد الوعظ، كان إذا جادل واصلًا هزمه واصل، له رسائل وكتب وخطب ومنها "التفسير"، "الرد على القدرية"، توفي بحران قرب مكة، 144هـ. الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 81.

أدلى بها العديد من المؤرخين المختصين في علم العقائد والأصول الفقهية لا يمكن إلا الأخذ برأيهم لأن جميع تعريفاتهم على وجه من الصحة مع ترجيح الرأي الثالث لأنه الأقرب إلى تعريف المعتزلة الذين رفضوا الاعتراف بكل ما يرفضه العقل وقدموا معرفة العقل على النص القرآني، وقالوا إن ما لا يستطيع العقل إثباته هو مرفوض حتماً فالمعرفة عقلية، وعليه يمكن أن تسمى المعتزلة بـ"العقليون" الذين اعتمدوا على العقل في كل شيء.

ثالثاً- نشأة المعتزلة:

1- تاريخ ومكان نشأة حركة الاعتزال:

نشأ الاعتزال كمذهب فكري له أصوله في البصرة بالعراق، وذلك في القرن الثاني الهجري، مرد ذلك لكثرة الآراء التي تحدثت عن النشأة، وخير ما يؤيد ذلك قول زهدي جار الله: "لم تعين أصول التاريخ العربي السنة التي ظهر فيها الاعتزال، وكل ما ذكرته أنهم ظهوروا في البصرة حول حلقة الحسن البصري، وانتشروا عنها". ومعلوم أن الحسن البصري توفي سنة 110 هـ، وأن الرجلين الذين أسسا مدرسة الاعتزال وهما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ولدا سنة 80 هـ، ولا يعقل أن تكون حركتهما بدأت قبل العقد الثاني من حياتهما، ومن خلال ما تقدم تكون المعتزلة نشأت في بداية القرن الثاني للهجرة، وعلى وجه التحديد ظهرت في سنة محصورة بين عامي (100-110 هـ)، وهذا ما يؤيده المقرئزي⁽¹⁾ من أنهم ظهوروا بعد المائة الأولى من سني الهجرة⁽²⁾. وتحدث الدكتور رشيد الخيون عن ظهور المعتزلة، فقال: "ظهرت دعوة الاعتزال في أجواء عراقية والبداية كانت بالبصرة، ثم تأسس فرع لهم في بغداد في بداية القرن السابع الميلادي، أما تسميتهم بالمعتزلة فقد وردت من قبل الخصوم ووافقوا عليها وباركوها"⁽³⁾. ومن خلال ما تقدم يمكن استنتاج أن نشأة المعتزلة كانت في البصرة في القرن الثاني للهجرة، وهذا ما ذهب إليه أغلب المؤرخين، ثم ظهر

(1) المقرئزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقرئزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة، من حارات بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والإمامة والخطابة، من تأليفه كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار". الزركلي: الأعلام، ج1، ص177.

(2) جار الله، زهدي حسن: المعتزلة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م، ص12.

(3) الخيون، رشيد: معتزلة البصرة وبغداد، دار الحكمة، لندن، ط1، 1997م، ص7.

لهم فرع آخر في بغداد وكان ذلك في العصر العباسي الأول، إذ اهتم بهم الخليفة المأمون وجعل مذهبهم هو الرائج وسيتم البحث في ذلك في موضع آخر، المهم أن نشأتهم ترجع إلى القرن الثاني الهجري.

2- الروايات في نشأة الاعتزال:

مثل الآراء التي تحدثت عن زمن ظهور الاعتزال، الملحوظ تعدد الروايات واختلافها في تحديد نشأة الاعتزال أيضاً، والأهم ما تم تداوله أن "نشأة المعتزلة كانت عندما اعتزل واصل بن عطاء قول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، ولهذه الحادثة روايتان:

— ما رواه البغدادي: "إن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق في منزلة بين منزلتين — بين الكفر والإيمان — فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته التي خالف بها أقوال الفرق التي قبله، طرده من مجلسه.

ولكن لا يمكن ترجيح هذا الرأي، لأن واصل كان من تلامذة الحسن وليس هناك من روايات أخرى ذكرت طرد الحسن البصري لواصل، بل إن أغلبها ذكرت قوله باعتزال واصل وليس طرده وتأنيبه، وعليه تبقى الرواية الأولى ضعيفة وغير مرجحة للأخذ بها، واعتمادها على رغم صحة الرأي بجعل الفاسق في منزلة بين منزلتين.

— الثانية وهي الأهم، ما رواه الشهرستاني⁽¹⁾: "دخل واحد على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر

(1) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح الشهرستاني، فلاسفة الإسلام، كان إماماً في علم الكلام، وأديان الأمم، يلقب بالأفضل، من كتبه الملل والنحل، نهاية الأقدام في علم الكلام، توفي (548) هـ. الزركلي: الأعلام، ج6، ص 215.

ما أجاب به علي جماعة الحسن، فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وجماعته باسم المعتزلة⁽¹⁾، وهو الرأي المرجح في أغلب الروايات التي تناولتهم، ولا يوجد رأي مناقض لما ذكر فالأرجح أن هذا الرأي هو الأصح باعتبار أشهر المؤرخين للفرق ذكرتهم بتلك الحادثة .
كما وردت بعض الروايات التي ترد الاعتزال إلى الذين اعتزلوا الخلاف الذي حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما زمن الفتنة وما بعدها في نهايات العصر الراشدي⁽²⁾.

رابعاً- أسماء المعتزلة وألقابهم:

1- الأسماء التي أطلقها المعتزلة على أنفسهم:

المعتزلة: بمعنى اعتزال الشر والمعاصي والخطأ وملذات الحياة، إذ رأى المعتزلة أنهم سمو بهذا الاسم، لأنهم اعتزلوا الشر والمعاصي، والظلمة، ويستدلون لقولهم هذا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويقول ابن المرتضى: "ويحتجون للاعتزال لفضله وذلك بقوله تعالى: "واعتزلكم وما تدعون من دون الله"⁽³⁾. وقوله تعالى: "واهجرهم هجرأً جميلاً"⁽⁴⁾. وليس إلا بالاعتزال عنهم، واحتجوا من السنة بقول النبي ﷺ: "من اعتزل من الشر سقط في الخير". وقوله: "ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها المعتزلة"⁽⁵⁾.

وقيل سميت المعتزلة بهذا الاسم: لأنهم اعتزلوا قول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، عندما قرروا أن صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتين (الإيمان - والكفر)، فليس هو مؤمن ولا كافر، بل في

(1) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980 م، ج ، ص 48.

(2) جار الله: المعتزلة، ص 12.

(3) سورة مريم، الآية 48.

(4) سورة المزمل، الآية 10.

(5) هذا الحديث غير موجود في كتب السنة ويرجح أن المعتزلة قد احتجوا به لإثبات معتقداتهم.

منزلة بين منزلتين⁽¹⁾. وقيل سموا بالمعتزلة: لاعتزالهم الحياة الدنيا ومباهجها والزهد فيها، والإقبال على العبادة و طلب العلم.

أهل العدل والتوحيد: لقب المعتزلة أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الاصلاح، وبنفي الصفات القديمة لله تعالى، حيث قالوا: "يجب على الله تعالى ما هو الأصلح لعباده، ويجب عليه أيضاً إثابة المطيع، فهو لا يبخل بما وجد عليه أصلاً، وجعلوا هذا عدلاً، وقالوا بنفي الصفات القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً وجعلوا هذا توحيداً⁽²⁾.

الوعيدية: وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة، وأن الله تعالى لا يخلف في وعده ووعيده، فلا بد من معاقبة المذنب إلا أن يتوب قبل الموت، وللمعتزلة أسماء أخرى مثل المنازلية، والمنزهة، أهل التنزيه⁽³⁾.

2- الأسماء التي أطلقها غيرهم عليهم:

المعتزلة: بمعنى المنشقين والخارجين عن الأمة، ويدلنا على ذلك قول البغدادي في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم: "اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وهي أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلون لاعتزالهم قول أمة بأسرها⁽⁴⁾،

(1) القاضي، عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـ، ص86.

(2) الإسفراييني، إبراهيم بن محمد: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال الحوت، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط1، (د.ت)، ص37. الإيجي، عبدالرحمن بن أحمد: المواقف، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1997 هـ، ج3، ص 659. القاضي، عبد الجبار بن أحمد الأسد: الأصول الخمسة، تح: فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، الكويت، ط1، 1998م، ص33.

(3) العواجي، غالب علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان مواقف الإسلام منها، دار لينة-دمنهور، ط3، 1418هـ، ج2، ص 1021.

(4) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1998م، ص114.

لكن لا يمكن اعتماد هذه التسمية خاصة وأنهم قاموا للدفاع عن العقيدة الإسلامية فكيف نطلق عليهم تسمية الخارجين عن الأمة والمنشقين عنها. وقيل سمووا بذلك: لأن السلف أطلق عليهم ذلك. **القدرية**: إذ أطلق أهل السنة على المعتزلة لقب القدرية، كونهم ينسبون لأنفسهم وينفونهم عن الله تعالى، وقال ابن الجوزي⁽¹⁾: "ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد الى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها، والمعتزلة يرفضون هذه التسمية وينكرونها، ويردونها الى أهل السنة، ويرجع سبب هذا التناقض بين المعتزلة وغيرهم بلقب القدرية لقوله ﷺ: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"⁽²⁾.

مخانيث الخوارج: وافق المعتزلة الخوارج في تأييد أن صاحب الكبيرة في النار مع قولهم بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر، ولهذا قيل للمعتزلة أنهم مخانيث الخوارج؛ لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم، والمعتزلة رأيت لهم الخلود في النار ولم تتجرأ على تسميتهم بالكفرة، ولا صبرت على قتال أهل فرقة منهم⁽³⁾.

الثنوية⁽⁴⁾ والمجوسية: قال المقرئزي: "إن المعتزلة يدعون الثنوية لقولهم بأن الخير من الله والشر من العبد". وكان المعتزلة الأقدمون يقولون: إن الله تعالى يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر، ولما كان هذان القولان يشبهان قول الثنوية المجوسية، فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على ذلك وعلى

(1) ابن الجوزي: يوسف بن عبد الرحمن بن علي الجوزي، محيي الدين، أبو المحاسن، القرشي، التميمي، من أهل بغداد، ت 656هـ. الزركلي: الأعلام، ج 8، ص 236.

(2) المجوس: ديانة قديمة، تقوم على إثبات أصليين هما الظلمة والنور، إلا أنهم زعموا أن الأصليين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة مستحدثة، وهنا يظهر تخبط المجوس. الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 232.

(3) أبو لبابة، حسين: موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء، الرياض، ط 2، 1407هـ، ص 14.

(4) الثنوية: ديانة سبقت الإسلام، يزعم أصحابها أن للعالم إلهين قديمين، هما النور وهو مبدأ الخيرات والظلمة وهو مبدأ الشر. الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 243.

أسماءهم، اسم المجوس فسموا الأمة الإسلامية. وللمعتزلة أسماء أخرى مثل: الحرقية، اللفظية، المنفية، القبرية، المبتدعة⁽¹⁾.

خامساً- عوامل ظهور المعتزلة وانتشار أفكارهم:

بعدما تمت دراسة أصل المعتزلة وبعض أسمائهم وتاريخ ومكان ظهورهم، سيتم عرض ما تيسر من العوامل التي ساعدت على ظهورهم وانتشار أفكارهم:

1- حل مشاكل الخلاف بين المسلمين:

بعدما توقفت الفتوحات، واستقر المسلمون في الأمصار التي تم فتحها، نشأت مشاكل لا بد من إيجاد الحلول لها وفقاً للتشريع الإسلامي، ومنها مشكلة مجرمي الأمة، أو ما يدعون مرتكبي الكبائر ما دون الشرك، ففرق المسلمون أحزاباً ووقعوا في صراع دموي حتى في زمن الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنه، ومن قبلها بين علي رضي الله عنه وأصحاب الجمل، وعندها راح المسلمون يكفر بعضهم بعضاً وانشغلوا عن الفتوح بتبادل السباب، يضاف إلى ذلك، أن المسلمين مع زيادة الفتوح انتقلوا من محيط ضيق إلى محيط واسع فيه كثير من ضروب اللهو والترف وأسباب الفساد، فعز ذلك على القوم، وساءهم أن يروا إخوانهم المسلمين يتجرأون على المعاصي، فعكفوا على دراسة هذه المشكلة، وأصدروا أحكاماً عليها مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكثرت بسبب ذلك المناظرات واشتهرت المجادلات واختلاف الرأي⁽²⁾، وكان أهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة ما دون الشرك مؤمن، فكبيرته لا تخرجه من الإيمان ولا تدخله في الكفر، لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان، ولكنه يعاقب عليها ويستدلون بأقوال منها: النصوص الناطقة بإطلاق المؤمن على المعاصي كقوله

(1) أبو لبابة: موقف المعتزلة من السنة النبوية، ص 14.

(2) المعتق، عواد بن عبد الله: المعتزلة وأصولهم الخمسة ومواقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1995 م، ص 30.

تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى"⁽¹⁾، وقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحة"⁽²⁾.

أما الخوارج رفضوا حكم أهل السنة في مرتكب الكبيرة وجعلوه كافراً مخلداً، لأنهم لا يعتبرون الإيمان تاماً بدون العمل، إذاً كان على كل فريق إثبات معتقداته وإبراز صحتها فالمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق حاولوا تقديم الدلائل المؤيدة لأفكارهم معتقدين أنها السبيل الوحيد في خلاص الأمة من مشاكلها التي نجمت عن الاختلاف العقائدي إلا أنها كانت على العكس تماماً، أضرت نار الحقد والضغينة بين تلك الفرق، وأصبحت كل فرقة إن لم يقال تكفر الأخرى، تنتظر إليها نظرة الازدراء والتهكم والبغض والكراهية والحقد وهذا ما طبع العالم الإسلامي بذلك الطابع فترة ظهور تلك الفرق، وللأسف مازالت المعاناة من الأثر المتروك حتى الآن وفي زماننا الحالي، وبقيت الحزازات في النفوس كل يحاول التفوق على الآخر بإبراز صحة معتقداته وأفكاره وإثبات أخطاء الطرف المقابل، وليت أن الأمر وقف عند هذا الحد ولم يتجاوز إلى حد التكفير والتشهير.

2- مناصرة بني العباس لهم:

كان ظهورهم في العصر الأموي، وأدركوا نقطة ضعف الفرق التي ظهرت قبلهم كالتفدية الذين تعرضوا لنقمة الخلفاء الأمويين والذين تتبعوهم بالقتل والتشريد، لذلك علموا أنه لا بقاء لهم مالم يجدوا قوة كبيرة تساندهم وتشد أزرهم فخطر لهم الاستعانة بالسلطة الحاكمة، واستمالتها إلى جانبهم، فيتمكنون بذلك من العيش أمنين، ويبرزون آراءهم بلا خوف ولا وجل، فتم لهم ما أرادوا لكن بعد جهاد طويل دام ما يقارب قرن من الزمن، فألقوا على الخليفة شباكهم، فنراهم حاولوا الالتفاف حول الخلفاء وكان منهم الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، حيث "كان اليزيد قديراً"، كما والتفوا حول

(1) سورة البقرة: الآية 178.

(2) سورة التحريم: الآية 8.

آخر خليفة أموي، إذ قال ابن الأثير: "إن مروان بن محمد يُلقب بالجعدي، لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فيخلق القرآن، ونفي القدر، فكان الناس يذمون به بنسبه الى الجعد"⁽¹⁾.

وبما أنهم لم ينجحوا في ذلك في العصر الأموي إلا أنهم غرسوا تلك البذرة في أنفسهم وبقيت حتى نبتت وأثمرت حيناً من الزمن وهو الزمن الذي ابتدأ معه حكم العباسيين، إذ أخذ المعتزلة يظهرون على مسرح الحياة السياسية والفكرية لأن عمرو بن عبيد كان صديقاً للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)، أما في زمن المهدي ابن المنصور (158-169هـ/775-788م)، لم يكن للمعتزلة الدور الكبير لأنه كان شديداً على الزنادقة والمخالفين، فقد جد في سنة 167هـ في طلبهم.

أما في عهد هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) تغير حالهم وأصبح صوتهم مسموعاً حتى أن الرشيد قَرِبَ بعد رجالاتهم، ورغم ذلك فإن المعتزلة لم يجسروا على نشر مقالاتهم والجهر بأرائهم، لأن ابن الرشيد كان متشدداً في أمور الدين، وفي خلافة الأمين (193-198هـ/809-813م): انكمش نفوذهم لأنه كان أشد من أبيه في مسائل الدين، أما في عهد المأمون الذي بدأ (198-218هـ/833-13م)، يلاحظ أن دور عزمهم بدأ وبدأت معه قوتهم، إذ عد نفسه من المعتزلة فقربهم وشايعهم، وجعل منهم أقربائه ووزراء لديه، وعقد المناظرات فيما بينهم وما بين الفقهاء لينتقوا إلى رأي متفق عليه، واستمر ذلك حتى سنة 218هـ/833م، وهي السنة التي توفي فيها، إذ تم إجبار الناس على اعتناق مذهب الاعتزال، والأخذ بأفكارهم وأحكامهم وأهمها أن القرآن مخلوق، وهذا العامل بلا شك من أهم العوامل التي ساعدت المعتزلة في نشر آراءهم وأفكارهم بسرعة وتشعبها وجعل لهم مكانة في المجتمع، وأضيفت إلى آراءهم أفكاراً لم تكن موجودة من قبل⁽²⁾.

3- الدفاع عن الدين الإسلامي:

(1) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج5، ص171. المصري، جمال الدين: شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الثقافة، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص53.

(2) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد الجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج2، ص202. المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص45.

من المؤكد أنه دخل في الإسلام طوائف مختلفة من المسيحيين واليهود والمجوس وغيرها، وهذه الطوائف لم يكن من السهل أن تتخلى عن أفكارها ومعتقداتها التي أصبحت تجري في نفوسهم مجرى الدم، لاسيما أن الكثيرين منهم دخلوا الإسلام إما رهبةً أو لقاء نفع دنيوي، وأخذ فريق من هؤلاء ينشرون بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم، وما يقصد من هذا الكلام هم اليهود الذين شكلوا خطراً على الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية على يد النبي ﷺ إذ قال الله تعالى: "لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا"⁽¹⁾. فهم بلا شك العدو الألد للإسلام، ونتج عن هذه المحاولات التي قاموا بها ظهور فرق كالمجسمة الراضية، ومن هنا كان لا بد للمعتزلة الذين خاضوا في علم الكلام وتعرفوا على ثقافات غيرهم من الرد عليهم والدفاع عن العقيدة الإسلامية، وبالإعتقاد أن هذا الأمر يفسر دفاع جولد تسيهر عن المعتزلة ومحاولته إبراز حسن سيرتهم، وأنهم كانوا بحق المدافعين عن الدين الإسلامي من التشويه وإدخال العقائد الغربية عليه⁽²⁾، وهذا الدور الذي قام به المعتزلة له أثراً بالغاً في انتشار أفكارهم وشهرتهم وتبني آراءهم من قبل العديد من الناس ومن بينهم بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون الذي تقدم ذكره.

سادساً - مبادئ مذهب الاعتزال وأصوله:

1- مبادئ مذهب الاعتزال:

بما أن مذهب الاعتزال قائم في الأساس على العقل، وعلم الكلام والجدل، والفلسفة، وترك آثاره ولمسته الواضحة والعميقة على التراث الفكري للمعتزلة، وخصوصاً الجانب الأدبي منه، وسيتم عرض أهم المبادئ والأصول التي قام عليها مبدأ الاعتزال، إذ قام مذهب الاعتزال على خمسة مبادئ وأصول أساسية لا بد من توافرها جميعها في الشخص حتى يعد معتزلياً دون زيادة أو نقصان، أهمها:

• التوحيد:

(1) سورة المائدة، الآية 82.

(2) تسيهر جولد، إيجناتس: العقيدة والشريعة في الإسلام، تح: محمد يوسف موسى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ص 140.

يعد هذا الأصل من أهم الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال، فهم يعدون أنفسهم من أشد الطوائف الإسلامية إيماناً بالتوحيد ودفاعاً عنه إزاء المذاهب والديانات المشركة التي تعتقد بوجود أكثر من وجود إله واحد، وذلك من خلال مناظراتهم وكتيبهم ورسائلهم المتعمقة والواسعة التي ألفوها في هذا المجال للرد على أصحاب تلك العقائد والديانات، ونتيجةً لتشددهم في أصل التوحيد فقد نفوا أن يكون لله تعالى صفات غير ذلك، كما أولوا الآيات القرآنية التي يفيد ظاهرها أن الله تعالى يتجسد يوم القيامة، ونفوا الرؤية نفي استحالة، وحكموا بكفر من يقول بها⁽¹⁾، وبما أن المعتزلة قاموا على توحيد الله تعالى وعرفوا بهذا المبدأ لماذا ينكرون صفات الله تعالى وهو جل جلاله أطلقها على نفسه في القرآن ودعا الناس إلى دعاؤه بها؟ ويعتقد أن هذا خطأ فادح وقع به المعتزلة وألب الناس عليهم وجعل هذا الأمر مأخذٌ عليهم.

وأجاد الشهرستاني في وصف عقيدة المعتزلة بشأن التوحيد، ونفي الصفات عن الذات الإلهية ونظراً لشمولية وصفه ودقته لا بد من ذكره: "فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف لذاته تعالى، وقالوا هو عالم بذاته، حيٌّ بذاته، لا يعلم وقدرة وحياء، وهي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى في دار القرار، ونفي التشبيه عنه"⁽²⁾، وبناءً على هذا الوصف يتضح أن المعتزلة أرادوا نفي أي صفة عن الله تعالى عدا صفة التوحيد وهذا ما عرفوا به أهل التوحيد.

• العدل:

يأتي هذا الأصل في الدرجة الثانية في الأهمية بعد التوحيد من ناحية اهتمام المعتزلة به وتوسعهم فيه، وكتاباتهم للدراسات والبحوث المستفيضة حوله، صحيح أنهم يتفقون في هذا الأصل مع سائر الفرق الإسلامية؛ إلا أن هناك موضوعات كثيرة ومتشعبة طرحوها حول أصل التوحيد، وكان لها أثر كبير في مجادلاتهم ومناظراتهم، ومن تلك المسائل والقضايا التي أثارها المعتزلة فيما يتعلق بمبدأ العدل، هي مسألة **القدر** وهل الإنسان مخير في أفعاله أم مسير؟ وقالوا أن الإنسان

(1) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: نهاية الإقدام في علم الكلام، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ، ص312.

(2) الربيعي، فالج: تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص43.

يمتلك الاختيار وحرية الإرادة في أفعاله، وذلك القول بأن الإنسان مجبر في أفعاله يستلزم- حسب رأيهم- نسبة الظلم الى الله تعالى، فما كان الله تعالى ليحاسب عبداً فيثيبه ويعاقبه على شيء مجبر على فعله⁽¹⁾. وكان من بين القضايا التي أثارها المعتزلة فيما يتعلق بأصل العدل الإلهي قضية **الحسن والقبح** وهل هما أمران نسبيان أم ذاتيان؟ وعلى ضوء إيمان المعتزلة المطلق بالعقل، توصلوا إلى أن تحديد الحسن والقبح هو أمر موكل بالعقل، وبالتالي توصلوا إلى أن حسن وقبح الأشياء هما أمران ذاتيان- أي حسب عقل كل إنسان فما يراه إنساناً جميلاً قد لا يراه الآخر جميلاً- والذي يهم هو إيمان المعتزلة المطلق بدور العقل في استنباط الأحكام، ومجمل القول أن المعتزلة انطلقاً من مبدأ العدل، قالوا أن الإنسان مخير في أفعاله ولو لم يكن مخير لما أوجب الله تعالى الثواب والعقاب، والحق أن هذا الرأي والتوجه يملك من الصحة ما يدعو إلى الأخذ به ويؤيد ذلك قول الله تعالى: "من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"⁽²⁾، وعليه فإن فعل الخير يثاب عليه الإنسان وفعل الشر يعاقب عليه الإنسان.

• الوعد والوعيد:

وهو متفرع من الأصل الثاني العدل، ولا يختلفون كثيراً في تفسيره عما سبقهم من الفرق الإسلامية، إلا أن الشفاعة غير موجودة فهم ينفونها، على اعتبار أنها تتنافى مع الوعد والوعيد، لذلك أولوا الآيات التي ظاهرها إثبات الشفاعة، وتمسكوا بالآيات التي تفيد نفيها، وأما بالنسبة إلى مرتكب الكبيرة وحكمه الآخر، قرروا أنه مخلد في النار استناداً إلى الوعد الإلهي، إلا أن عذابه أخف من عذاب المشرك والكافر نظراً لأنه فاسقاً من وجهة نظرهم وليس بمشرك ولا كافر⁽³⁾، إذ انطلقاً من مبدأهم الثالث فإن الوعد والوعيد الإلهي بالعقاب والثواب جعلهم ينفون فكرة الشفاعة لأن اعتقادهم بها سوف يلغي هذا المبدأ الذي قالوا به، لكن الله عز وجل وعد الرسول بالشفاعة لأمتة وهذا ما تتفق عليه أغلب الأمة الإسلامية.

• المنزلة بين المنزلتين:

(1) الأندلسي، ابن حزم علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تعليق: محمد بن عبد الكريم، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، 1996 م، ج3، ص 103.
(2) القرآن الكريم، سورة الزلزلة، الآية 7-8.
(3) الربيعي: **المعتزلة**، ص45.

وكما مر فإن هذا الأصل هو الذي ميز المعتزلة عن غيرهم من الفرق، وهو الذي ارتبط بظهورهم و نشأتهم، إذ اتخذوا خلاله موقفاً وسطاً بين المرجئة والخوارج، وخير ما يمثل ذلك هو المناظرة التي جرت بين واصل بن عطاء وصديقه عمرو بن عبيد، إذ تجلى طبيعة الموقف المحايد والوسط الذي اتخذه المعتزلة بهذا الخصوص، إذ قال واصل: "سمي مرتكب الكبيرة فاسقاً لاتفاق أهل الإسلام على هذه التسمية، فالخوارج يسمونه مشركاً فاسقاً، والشيعية يسمونه كافراً بنعمة فاسق، والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً، فاجتمعوا على تسميته فاسقاً، واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه، فالواجب أن يطلق عليه الاسم الذي اتفقوا عليه وهو الفسق، فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً، ولا يقال إنه مؤمن ولا منافق ولا مشرك فهذا أشبه بأهل الدين"⁽¹⁾.

ويرجح أن تسمية الفاسق التي اعتمدوا إطلاقها على مرتكب الكبائر ليست على الوجه الأصح لأن لا أحد يستطيع أن يطلق تعميماً على الأشخاص ويمكن لهذا الشخص الذي ارتكب الكبيرة أن يتوب، وعليه لا يجوز أن يتم إطلاق الأحكام بمجرد فعل خاطئ والإنسان بطبعه الخطأ، فمعنى ذلك بالنسبة لديهم أن الناس كلهم فاسقين عدا الأنبياء والرسل بحكم عصمتهم من الله تعالى، وعلى ما تقدم يرجح أن تسمية المعتزلة وغيرهم من الفرق للفاسق بهذا الاسم ليس بالمعنى الأصح ويكمن إيجاد الكثير من التعابير التي تكون أخف حدى من تسمية الفاسق، لأنه غالباً ما يتم إقران اسم الفاسق بالفاجر والفجور صفة من لادين له، وعلى ذلك لا يمكن أن نقرن الفاسق بالفاجر بل يجب إيجاد تعبير يكون خفيف الوقع والأثر على النفس.

• الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا الحكم اتفق على وجوبه جميع المسلمين، إلا أن المعتزلة لم يصلوا به إلى درجة أنه أصل من أصول الدين، في حين ترى الفرق الإسلامية الأخرى أنه يمثل فرعاً من فروع الدين، مع اختلاف في وسائل تطبيقه، فالمعتزلة يرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذه الفريضة، بالإضافة إلى وسائل اليد واللسان والسيف⁽²⁾، لكن مثل هذا الرأي لن يلقى التأييد وخاصة أن الإنسان لا يحتمل الإكراه على أمر، وبناءً على ذلك لا بد من أن يكون هذا الأمر نابعاً من النفس البشرية لوحدها،

(1) الربيعي: المعتزلة، ص 50.

(2) الأشعري، أبو الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، 1990م، ج1، ص 250.

أما بقية الفرق الأخرى قالت بتطبيقه وذلك بطرائق مختلفة عن طريقة المعتزلة، ومهما يكن من أمر فالملاحظ أن هذا المبدأ نادى به جميع الفرق الإسلامية، على الرغم من توجه كل من هذه الفرق إلى تطبيقه بالطريقة التي تراها مناسبة، ولا أحد يستطيع أن ينكر مدى أهمية هذا المبدأ في الدين الإسلامي وأنه أصل من أصول الدين، والدليل هو إجماع كل الفرق على اختلاف معتقداتها على هذا الأمر، بمعنى أن هذا الأمر متفق عليه عند كل الفرق الإسلامية، ولو لم يكن بهذه الأهمية لما وجد هذا الاتفاق⁽¹⁾.

2- الأمور التي اتفق عليها المعتزلة:

اجمع المعتزلة على نقاط غاية في الأهمية اتفقوا عليها، وجعلوها عنواناً عريضاً لهم قل ما نجد شخصاً معتزلياً أو اعتزالياً لا يقر بهذه النقاط التي أضحت عندهم قوانين لا بد من التقيد فيها وهي:

1. نفي صفات الله تعالى عنه، وكما مر سابقاً اعتقدوا أنه لطالما كانت صفات الله تعالى موجودة معه، فهي حتماً دون شك تشاركه في الألوهية وهم أول من قال بتوحيد الله تعالى وجعلوا أول مبادئهم مبدأ التوحيد وهذا طبعاً يتناقى مع مبدأهم فعليه من الواجب إنكار تلك الصفات عن الله تعالى.
2. كلام الله تعالى مخلوق، وهذا الأمر شكل لهم العديد من المشاكل والاختلاف مع الفرق الأخرى، إلا أنهم من المرجح انطلقوا من أن كل شيء في الوجود مخلوق لله تعالى وعليه فلا يمكن أن يكون سوى الله تعالى خالق كل شيء وعليه قالوا بنظرية خلق القرآن.
3. أفعال العباد مخلوقة لهم، وأفعال الحيوانات خارجة عن قدرة الله تعالى - لارتباط ذلك بالعدل الإلهي - وبالتالي الحيوانات لا تحاسب عندهم، والإنسان هو الذي يحاسب على أفعاله التي يفعلها بحريته واختياره.
4. حال الفاسق منزلة بين منزلتين - أي بين الكفر والإيمان - وهذا ما تم شرحه مسبقاً.
5. وجوب كثير من الأشياء على العباد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه مثل: النظر، الاستدلال، وشكر المنعم، بمعنى أن هناك العديد من التصرفات التي تكون من تلقاء نفس

(1) الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج1، ص250.

- الإنسان ولا دخل للقدر فيها مثل شكر النعم هذه الصفة التي تختلف من شخص لأخر حتى دون أن يكون للإنسان شأن في وجودها.
6. إنكار مفاخر زائدة لرسول الله ﷺ، زائدة على الأنبياء مثل: الشفاعة والمعراج، وبرهنوا ذلك أنه لو وجبت الشفاعة فإن العدل الإلهي سيكون حتماً لا وجود له والله تعالى لا يخلف الميعاد.
7. إنكار عذاب القبر⁽¹⁾، وذلك لأنه لو وجد عذاب القبر فإن الله تعالى لن يقوم بتعذيب الكافر أو الفاسق مرتين وعليه فإن عذابه سينتهي بمجرد أن تم تعذيب الكافر في القبر وهذا أيضاً يخالف ما ذهبوا من خلود الكافرين في النار، والمتقين في الجنة.

هذه الأمور ميزت المعتزلة عن غيرهم من الفرق الإسلامية، وكانت نقاط هامة جداً في تاريخهم، إذ لم يعتبروا أن الإنسان معتزلياً إلا إذا توافرت فيه هذه الشروط والمبادئ، وبالتعليق على هذه المبادئ يرجح أن بعض هذه المبادئ يحمل وجهاً من الصحة وبعضها الآخر لا يمكن الإقرار به كون الشرع الإسلامي والسنة النبوية الشريفة يعارضان ما قالوا به وخاصة فيما يتعلق بإنكار المفاخر الزائدة على الرسول ﷺ.

سابعاً- أهم فرق المعتزلة:

- **الواصلية:** أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال- الأئمة الذي كان يُلثغ حرف الراء- من تلاميذ الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقولته في المنزلة بين المنزلتين، ولد سنة 80هـ، ونشأ على الرق، وكان أول ظهوره في العصر الأموي، اتصف بسعة المعرفة، وهو الذي نقل حركة الاعتزال من الفوضوية إلى التنظيم والاحتراف⁽²⁾، مؤسس فرقة الاعتزال، وتوفي 131هـ، وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال⁽³⁾، وجعل الشهرستاني اعتزال هذه الفرقة يدور حول أربع قواعد.

(1) زكار، سهيل وخبوطلي، شكران: الحضارة العربية الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، سورية، 1431هـ/2010م، ص269.

(2) زكار: الحضارة العربية الإسلامية، ص272.

(3) المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص54.

- **الهديلية:** أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة بعد واصل بن عطاء، ولد سنة 135هـ، وتوفي سنة 226هـ، اطلع على الفلسفة اليونانية فجاءت أقواله متأثرة بها، وانفرد عن أصحابه بعدة مسائل⁽¹⁾.
- **النظامية:** أصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام، سمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولد 185هـ، وتوفي 231 هـ، خالط ناساً من كبار الملاحدة، عاش في شبابه قوماً من الثانوية والسمنية الذين قالوا بتكافؤ الأدلة، واتصل بهشام بن الحكم الرافضي فأخذ عنه وعن ملاحدة الفلاسفة، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوت، وأنكر إعجاز القرآن ومعجزات الرسول ﷺ، والأخطر من هذا كله أنه توصل إلى إنكار نبوة الرسول محمد ﷺ⁽²⁾.
- **البشرية:** أصحاب بشر بن المعتمر، وكان من أفضل علماء المعتزلة، أحدث مسألة (التولد) وأفرط بالقول فيها، فقد زعم أن اللون والرائحة والطعم والإدراكات كلها من السمع والرؤية يجوز أن تحصل متولدة من فعل العبد، إذا كانت أسبابها من فعله.
- **المعمرية:** أصحاب معمر بن عباد السلمى، اشتهر بتشدده وتعصبه للقدرية، لفكرة نفي الصفات، كان رأساً من رؤوس الضلال، ومن أعظم القائلين بنفي الصفات عن الذات الإلهية، ونفي القدر خيره وشره عن الله تعالى، وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف، توفي سنة 220 هـ .
- **الهشامية:** أصحاب هشام بن عمرو الفوطي، وقد بالغ بالقدر أكثر من سواه، توفي سنة 226هـ⁽³⁾، وقد ذكره ابن المرتضى في آخر من ذكر من الطبقة السادسة، وكان مبالغاً في القدر أكثر من أصحابه، يمتنع من إضافة أفعال إلى الباري عز وجل.

(1) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص54.

(2) المعتق: المعتزلة وأصولهم الخمسة، ص54.

(3) زكار: الحضارة العربية الإسلامية، ص272.

• الجبائية والبهشمية: أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وابنه أبي هاشم عبد السلام، وقد انفرد بمسائل خاصة، وتتلذذ عليهما الإمام الأشعري، ثم انقلب على معتقدهما وهاجم الاعتزال ووجه إليهما أعظم ضربة فكرية⁽¹⁾.

ثامناً- أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي بصورة عامة:

لا يمكن إنكار دور المعتزلة وأثرهم الفاعل في تحرير الفكر العربي الإسلامي من الجمود، واتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار، والاكتفاء بالنصوص القرآنية والأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر العربي الإسلامي من مشككين، وزنادقة وملاحدة الذين كان المجتمع العربي الإسلامي يعجُّ بهم أثناء فترة الحكم العباسي نتيجةً لاختلاط المجتمع الإسلامي بعناصر عديدة من الأمم والشعوب الأخرى التي حملت معها معتقداتها، ومبادئها، وأفكارها، ونشاط حركة الترجمة من تراث تلك الأمم والشعوب، وذلك فإن المذهب السني بأساليبه التقليدية لم يكن وحده كافياً، ويروى في هذا المجال أن الشافعي قال: "إن وجدتم السنة فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى أحد". فكان موقفهم هذا الذي ظهر بدافع الدفاع عن الدين الإسلامي في البداية موقفاً جيداً بعد محاولاتهم الحفاظ على العقيدة الإسلامية وقد برز دورهم من خلال عدة نقاط كانت أساسية وعظيمة ولها دور فعال في سبيل تحقيق ما أرادوا تحقيقه، وفيها برز فيها دور المعتزلة وتأثيرهم على الفكر الإسلامي وهي:

1- دور المعتزلة في التوفيق بين العقل والسنة: كان للمعتزلة دور كبير في التوفيق بين العقل والسنة، وبين الفكر الإسلامي الأصيل وبين المعطيات الفكرية للثقافات والحضارات الأخرى، وخصوصاً الحضارة اليونانية. إذ اكتشفوا أن الطريق الأمثل للدفاع عن المعتقدات الإسلامية، هو معرفة الأساليب العقلية، والمنطقية، والفلسفية لتلك الثقافات والحضارات في إثبات صحة أسسها ومبادئها، وتمثل تلك الأساليب وتوظيفها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وتقديمها في صورة مقبولة ومقنعة إلى حملة المعتقدات والديانات الأخرى⁽²⁾.

2- جهاد المعتزلة في نشر العقيدة الإسلامية: إذ تسلح المعتزلة بنفس السلاح الفلسفي والمنطقي الذي تسلح به أعداء الدين الإسلامي من الزنادقة والملحدون، وهو ما أبرزته لنا كتب التاريخ،

(1) الربيعي: المعتزلة، ص 20.

(2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 340.

ويروى أن أبو الهذيل العلاف، من أشد رجال المعتزلة صلابة عود، وقوة وحجة، وأكثرهم دأباً للرد على المعاندين، ومناظرة المخالفين، عرف عنه أنه ألف ستين كتاباً يبطل فيها حججهم، ويفند أقاويلهم وينقدها، وشهد له صالح بن عبد القدوس بالبراعة، وقوة الحجة حينما ناظره، وهكذا كان الحال بالنسبة إلى زعماء المعتزلة الآخرين مثل: واصل بن عطاء، وثمامة بن أشرس، ويشر بن المعتمر، والجاحظ، والنظام وغيره⁽¹⁾.

3- خدمات المعتزلة للفكر الإسلامي: يمكن تلخيص الخدمات التي قدمها المعتزلة للفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والتأثيرات التي تركوها فيها فيما يلي:

- ❖ أسهموا بنق لتراث وثقافة اليونان من منحاهما العقلي والفلسفي إلى الحضارة العربية الإسلامية، وذلك بعد أن تم اطلاعهم على هذه الثقافة وتمثلهم لمعطياتها العقلية والفلسفية.
- ❖ كان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين والفلسفة، إذ بدت استحالة الجمع بينهما، وخصوصاً من وجهة نظر أهل السنة الذين يرون في النزعة الفلسفية نوعاً من الزندقة والخروج عن قواعد الدين الإسلامي⁽²⁾.
- ❖ إرساء المعتزلة لدعائم حركة عقلية واسعة كانت لها أكبر الأثر في صياغة الحضارة الإسلامية نظراً إلى أن مذهبهم كان يقوم على احترام العقل وتمجيده، والتعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة، وأساليب التفكير السليم من جهة أخرى، ويكفي دليلاً على ذلك ما يقوله جولد تسيهر: "نحن لا نستطيع نكران أنه كان لنشاط المعتزلة نتيجة نافعة، حيث جعلوا العقل ذا قيمة حتى في مسألة الإيمان، وهذا هو الفضل الذي لا يجحد والذي له اعتباره وقيمته، والذي جعل لهم مكاناً في تاريخ الدين والعقيدة الإسلامية"⁽³⁾.
- ❖ نتيجة لاعتماد المعتزلة على العقل كمرجح أساس في استنتاجاتهم واستنباطاتهم وأحكامهم، ونتيجة لعدم جمودهم على النصوص، فقد لعبوا دوراً كبيراً في إشاعة أجواء حرية التفكير، والعقل، ويلاحظ هذا الاتجاه بشكل واضح في عصر المأمون وفي القرن الرابع الهجري كما

(1) الربيعي: تاريخ المعتزلة، ص 23.

(2) البغدادي: المصدر السابق، ص 340. الربيعي: تاريخ المعتزلة، ص 23.

(3) تسيهر جولد: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 140.

ذكرنا سابقاً، وعليه ارتفعت قيمة العقل والتفكير في ذلك العصر الذي ظهر فيه المعتزلة وازدادت في العصر العباسي.

❖ لقد بلغت هذه النهضة العقلية التي أرسى المعتزلة دعائمها حداً من العمق والتأثير والانتساع بحيث إنها تركت أثراً حتى على أهل السنة ، وقد تجلّى ذلك التأثير عند الأشاعرة ، رغم عنادهم للمعتزلة ، وحربهم الفكرية ضدهم ، وانضمام الكثير من أهل السنة إلى صفوفهم ، وكانوا في البحوث الكلامية يتأثرون بالمعتزلة الى حدٍ كبير (1).

تاسعاً- أسباب اضمحلال المعتزلة وتدهور آرائهم:

إن الأسباب التي أودت بالمعتزلة كثيرة ومتنوعة منها ما يعود الى طبيعة مذهبهم، وطريقة تطبيقهم لأفكارهم، ومنها ما يعود إلى تعقب أهل السنة لهم وإبراز انحرافاتهم، ومنها:

1- بعدهم عن تطبيق معتقدتهم في الإيمان:

غالى المعتزلة في القول بدور العقل وجعلوه شرطاً في ثبوت صحة الإيمان، إلا أن أعلامهم كانوا أول من مال عن هذا الركن الأساسي، بل تجاوزوه إلى الهزء في بعض الشعائر، وبلغ بهم الأمر إلى تناول الرسول ﷺ بما لا يليق بمقامه السامي، إذ وردت روايات أن معظم أعلامهم تجرأوا على المعاصي وشرب المسكرات وأن أحدهم كان يرى في الطهارة أنها غير واجبة، وأن أحداً منهم واسمه ثمامة كان يتناقل في صلاته ولا يؤديها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى استهتارهم بمبادئ الدين الإسلامي، وشعائره (2).

2- كثرة اختلافاتهم :

عجل بانقراض المعتزلة كثرة خلافاتهم التي تعود إلى تنوع مصادرهم، وتضاربيها وإلى تعويلهم على العقل الذي قدموه على النص والقرآن والسنة وجعلوه رائدهم وإمامهم، وتنوعت آرائهم في تفسير أي مسألة حتى أن عبارة "خلفاً للمعتزلة" تكاد تنصدر كل المسائل التي تناولت المعتزلة بالبحث، وبلغ

(1) الربيعي: تاريخ المعتزلة، ص 27.

(2) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 191.

التنافر والاختلاف الحد الذي جعل يكفر بعضهم بعضاً، وأكثر زعمائهم يكفر التابعين لهم، إذ بدت كثرة خلافاتهم في مؤلفاتهم التي انبرى فيها كل طرف يسفه الآخر ويكشف عن مساوئه⁽¹⁾.

3- مقاومتهم الفكرية:

تولى أهل السنة والجماعة مقاومة المعتزلة فكراً، وذلك من خلال تأليف المصنفات التي تكشف ما وقعوا فيه من خروج عن الشريعة الإسلامية، وعن إجماع المسلمين، وإبراز ما وقعوا فيه من خلل وخطأ، وجعلت الأحقاد بين الجانبين بعضاً من أهالي السنة يغالي في بغض المعتزلة وتكفيرهم، والبيغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" بالغ في تكفير المعتزلة وإبراز مساوئهم، حتى أن الأشعري الذي تقدم ذكره انقلب على المعتزلة وألف كتاب كشف فيه فضائح المعتزلة "الإبانة في أصول الديانة"، وكذا صار المعتزلة في أواخر أيامهم عنواناً على الخروج عن الدين الإسلامي والخروج على مبادئ الشريعة الإسلامية⁽²⁾، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى ما وصل إليه المعتزلة من التشردم والتدهور والانحطاط بعد أن كان مذهبهم المذهب الرسمي في عصر الدولة العباسية، ويرجح أن السبب الأساسي لما وصل إليه حالهم هو عدم التزامهم بالأصول والمبادئ التي وضعوها ونادوا بها فكان خروجهم عن مبادئهم بمثابة الإيدان بسقوط مذهبهم وإنهائه.

(1) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج3، ص232.

(2) أبو لبابة: موقف المعتزلة من السنة النبوية، ص163.

خاتمة.

من خلال ما تقدم وبعد أن تم استعراض أهم نقاط المعتزلة وكثرة انحرافاتهم، إلا أن لهم العديد من الفضائل تتمثل في مقاومة بعض زعمائهم تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بذل المعتزلة كل جهد لنشر دعوتهم في الآفاق، ففرقوا رسلهم إلى أمصار المشرق والمغرب للدعوة إلى مذهبهم، وشارك أعلامهم في هذه الحملة بجوب البلاد وإقامة حلقات البحث لمناقشة مخالفاتهم ومجادلة الملحدين والمعاندين ورد شبه الخوارج والمرجئة، ومقاومة المسيحيين واليهود والمجوس، وفرقهم المختلفة التي تنطعت على الإسلام لإيقاف مده، وتمكنوا من إفحام هؤلاء الفلاسفة، كما اتخذوا الكتابة سبيلاً لدعم مذهبهم فكانت لهم مصنفات تشهد لهم بالقدرة والعلم وسعة الاطلاع، ولكن في النهاية إن الذي أتى على مجد المعتزلة وأطفأ نورهم، هي تلك الإصابات التي استهدفتهم نتيجة ارتمائهم في أحضان الآراء الدخيلة والملحدة، فغيروا الكثير من آراءهم وانحرفوا عن السمات فكانوا بحق مبتدعة، تعرّت آرائهم من كل دليل شرعي وما كان لديهم الدليل، إذ اتخذوا من العقل دليلاً، يؤولون به من الآيات ما لم تهتد إلى إدراكه أفهامهم، ويردون به من الحديث كل ما لا يتفق مع جموح هواهم المتعصب لمذهبهم، وبذلك يصدق عليهم قول "ولئن كانت بداياتهم دفاعاً عن الإسلام من طعنات أعدائه، كانت نهايتهم تعصباً دينياً مذهبياً لغاية التعصب....".

6- قائمة المصادر العربية الإسلامية:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- 3- الإسفراييني، إبراهيم بن محمد: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال الحوت، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط1، (د.ت).
- 4- الأشعري، أبو الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، 1990م.
- 5- الأندلسي، ابن حزم علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تعليق: محمد بن عبد الكريم، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، 1996م.
- 6- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: المواقف في علم الكلام، دار علم الكتاب، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 7- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: الفرق بين الفرق، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1998م.
- 8- تسيهر جولد، إيجناتس: العقيدة والشريعة في الإسلام، تح: محمد يوسف موسى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د.ط).
- 9- الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تح: نصر الدين التونسي، شركة القدس، القاهرة، ط1، 2007م.
- 10- الجهني، مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420هـ.

- 11- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م): المقدمة- من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (د.ت).١.
- 12- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1977م.
- 13- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط).
- 14- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975م.
- 15- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: نهاية الإقدام في علم الكلام، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ.
- 16- الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1250هـ.
- 17- العواجي، غالب علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان مواقف الإسلام منها، دار لينة- دمنهور، ط3، 1418هـ.
- 18- الغزالي، محمد بن أحمد: المنقذ من الضلال، تح: عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، عام 1964م.
- 19- القاضي، عبد الجبار بن أحمد الأسد: الأصول الخمسة، تح: فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، الكويت، ط1، 1998م.
- 20- القاضي، عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، تح: عبد الكريم عثمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- 21- القفطي، علي بن يوسف (ت646هـ/1248م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

- 22- المصري، جمال الدين: *سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون*، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط).
- 23- المغربي، علي عبد الفتاح: *الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة*، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م.
- 24- أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت488هـ/1095م): *تهذيب اللغة*، تح: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية، مصر الجديدة، (د.ط)، (د.ت).
- 25- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م): *لسان العرب*، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

7- قائمة المراجع:

- 1- البوطي، محمد سعيد رمضان: *مذاهب توحيدية وفلسفات معاصرة*، دار الفكر، دمشق، ط3، 2010م،
- 2- جار الله، زهدي حسن: *المعتزلة*، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م،
- 3- الخيون، رشيد: *معتزلة البصرة وبغداد*، دار الحكمة، لندن، ط1، 1997م،
- 4- الربيعي، فالح: *تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم*، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2001م،
- 5- الزركلي، خيرالدين: *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، الزركلي، خيرالدين: *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م،
- 6- زكار، سهيل وخبوطللي، شكران: *الحضارة العربية الإسلامية*، منشورات جامعة دمشق، سورية، 1431هـ/2010م،

- 7- السيد، محمد صالح محمد: مدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، مصر، (د.ت)، 2001م،
- 8- أبو هلال، محمد: إسلام المتكلمين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م،
- 9- عمارة، محمد: تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ،
- 10- أبو لبابة، حسين: موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء، الرياض، ط2، 1407هـ،
- 11- مراد، سعيد: الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1427هـ،
- 12- المعتق، عواد بن عبد الله: المعتزلة وأصولهم الخمسة ومواقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1995 م،
- 13- المغربي، علي عبد الفتاح: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م،
- 14- النجار، عامر: علم الكلام عرض ونقد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1430هـ/2009م.